توفِّي في رجب، ودُفن عند جامع المنصور، وكان صالحاً ثقةً[١].

السنة الحادية عشرة وأربع مئة

فيها في المُحرَّم عزَمَ سلطانُ الدولة على الانحدار إلى واسط، فمنعه الغلمان وشغَبوا، وطلبوا ما استحقُّوه من الأقساط، وتكلَّم الناس في أمر شرف الدولة، وأنَّ الغِلمان قد اتَّفقوا على تقليده الأمر، وأُشير على سلطان الدولة باستدعائه إلى داره، والاحتياط عليه، فأرسل إليه، فاعتذر بمرض، وخاف على نفسه، وكان أبو منصور مردوست يتولى النظر في أموره، ولمَّا امتنع من الحضور أرسل إليه بالانحدار إلى واسط، فأجاب وحَطَّ بعضَ رَحْلِه في السفن، فجاء الغِلمان إلى بابه، ومنعوه وردُّوا رَحْلَه إلى داره، وأقام سلطان الدولة على الخروج، فقال له الغِلمان: إذا كنتَ على عزم الخروج فابعَثْ إلى ولدك أبي كاليجار، فاستخلِفه عندنا نائباً عنك، واذهَبْ إن[٢] شئتَ، أو اترُكِ الأمير أبا عليٍّ أخاك بيننا نائباً عنك. فأرسل سلطانُ الدولة إلى شرفِ الدولة في ذلك، فامتنعَ وقال: إذا لم ينهَضْ سلطانُ الدولة بهذا الأمر وهو الملك وربُّ الخزائن، فكيف أنهَضُ أنا مع ضعفي وقصور مادَّتي؟ فألَحُّوا عليه، فأجابَ، واستحلَفَ كلَّ واحدٍ منهما على الوفاء والمخالصة بمحضرٍ من وجوه الدَّيلم والتُّرك، وحلَفَ سلطانُ الدولة للغِلمان على الحراسة لهم، وأن لا يستخدم ابنَ سهلان، وركب شرفُ الدولة إلى أخيه لتسعٍ بَقِين من المُحرَّم، فدخلَ إلى دار المملكة ـ وبين يديه الغلمان والدَّيلم ـ راكباً، ونزل قريباً من الصُّفَّة، وخرج سلطانُ الدولة من القُبَّة ومعه غِلمانُه وحاشيتُه بالعُدَد، وكلُّ واحدٍ منهما يرعد مخافةَ الآخر، فقبَّل الأرضَ شرفُ الدولة، ووقف وِقفةً خفيفةً، ولوى رأسَه، وخرج ودخل سلطانُ الدولة القُبَّة، ومضى العسكرُ مع شرف الدولة، وسار سلطانُ الدولة يوم السبت لخمسٍ بَقِينَ من المُحرَّم إلى واسط، وضُرِبَتِ القبابُ لشرف الدولة، وركب واخترقَ بغداد، ونزل بدار المملكة لثلاثٍ بَقِينَ من المُحرَّم.

---

(١) هذه العبارة جاءت في (خ) و (ف) عقب قوله: سمع الحديث ورواه.

(٢) في (خ): أين، والمثبت من (ف).

وكان أبو المِسْكُ وأبو الخطَّاب قد خرجا إلى سُرَّ من رأى مستوحِشين من سلطان الدولة، ظنًّا أنه يريد منهما مالاً، فكوتِبا، فرَجعَا إلى أوانا، وخرج للقائهما مردوست والمرتضى وابنُ أبي الشوارب والأشراف والناس، وخرج شرف الدولة فتلقَّاهما، وعرض لأبي الخطاب مرض الفالج، فعُولج وعُوفي، ونظر أبو الخطَّاب والأمير على عادتهما، وقدمَ سُلطانُ الدولة واسطاً، وراسله ابنُ سهلان من البصرة في الورود وتدبيرِ الأمورِ، حتى استقرَّ ذاك، وسار سلطانُ الدولة، ووافاه ابنُ سهلان إلى الطِّيب، وسار إلى تُسْتَر وابنُ سهلان معه، وبلغ شرفَ الدولة عن سلطان الدولة كلامٌ فأوحشه وأوحش الجماعة، وقَوَّى الوحشةَ خروجُ ابنِ سهلان من البصرة، فكتب شرفُ الدولة إلى سلطانِ الدولة يتواضعُ له، ويعترفُ بالطاعة، ويذكر أنَّ الغلمان طلبوا مال البَطيحة؛ لأنها من أعمال العراق، وكان سلطان الدولة قد أخذه لمَّا حصل بواسط، ويذكر شَغَبَ الغلمان، فلمَّا وقف عليه قال للرسول: مالُ البَطيحَة ما هو داخلٌ في أعمال العراق، ولا للغلمان فيه [حقٌّ] وصرفَ الرسولَ.

وأمَّا ابنُ سهلان فسار مع سلطان الدولة إلى تُسْتَر يتولَّى النظرَ في الأمور، وشرع في قصد العراق، وقرَّر ذلك مع سلطان الدولة، وخلع عليه الخِلَعَ الجليلة، ووفَّاه المكرُماتِ الكاملة، وأعطاه من مجلسه دستَ السلاح الذي كان على كرسيِّه لخاصَّته، ولقَّبه عميدَ الدولة وزعيمَ الأمة شمسَ الدين مضافاً إلى فلك الملك، وأمرَ بضرب الطُّبول على بابه أوقات الصلوات الخمس، وهذا شيء لا يكون إلا لملك، ووصل إلى الأهواز، وأقام ينظر في الأمور ويستخدم الدَّيلم، وكتب إلى الأطراف يطلبهم، وبذَلَ المالَ، وخلَعَ الخِلَعَ، ووالى مَدَّ السُّمُط[1]، وعزم على قصْدِ العراق، ثمَّ عبر على فوهة نهر العباس، فخيَّم بها ليتوجَّه إلى واسط وبلغ ذلك إلى بغداد، فكتب شرفُ الدولة إلى الحضرة الجلالية، وأعلمها ما عليه الغِلمان من النُّفرة، وسأله التوسُّط مع سلطان الدولة، وبعث جماعةً من الأعيان، وقالَ: عَرِّفوا سلطانَ الدولة الحالَ، وأقيموا بالبصرة حتى يأتي كتابُ جلال الدولة ورسولُه، وكتبوا كتاباً عن لسان الأتراك يستعطفونه ويخضعون له، فلمَّا وقف سلطانُ الدولة على الكتاب، وسمع الرسالة،

(١) في (ف): السِّماط، وهو مفرد السُّمُط، ومعناه: ما يُمدُّ ليوضع عليه الطعامُ ونحوُه.

قال: الأمر في هذا إلى وزيري ومدبِّر أموري[١] أبي محمد بن سهلان، فاقصدوه، وأنهوا إليه الحال. فمضَوا إلى الأهواز، واجتمعوا بابن سهلان، فكان جوابُه: قد أمرني سلطانُ الدولة بالمسير إلى جهتكم، وإذا صِرْتُ بينكم توسَّطْتُ أمرَكم وخدمتُ أمير الأمراء أبا علي، وتحمَّلْتُ الأثقال دونه. وخَلَع عليهم ووصلَهم ورَدَّهم.

ثمَّ سارَ ابنُ سهلان من الأهواز إلى واسط، وخرج مَنْ كان بها من الأتراك إلى بغداد، وبعث شرفُ الدولة في مقدِّمته أرسلان الطويل، وسار شرفُ الدولة بالأتراك والأعراب، فنزل شرقيَّ واسط، وابنُ سهلان في غربيِّها، وجرَتْ بينهم حروبٌ، وأوحش ابنُ سهلان جماعةً من الدَّيلم، فصاروا إلى شرف الدولة، وجاءته العساكر من كلِّ مكان، ولمَّا تطاولتِ الحربُ بين الفريقين قيل لشرف الدولة: لو أظهرتَ نفسَكَ في تقلُّد الأمر، وبرزْتَ إلى المَصافِّ لدخل الدَّيلم في طاعتِكَ. وكان مِنْ قبلُ يمتنع ويقول: إنما أنا نائبٌ عن أخي، وإذا أطاع أخي مَنْ حملَه على قَطْعِ رَحِمي ونَقْضِ ما بيني وبينه، فأنا لا أدَعُ التمسُّكَ بطاعتِه. فما زالوا به حتى ركب يوم الخميس لسبعٍ[٢] بقين من شوال، فحين رآه الدَّيلم قاتلوا قتالاً شديداً، ثم استأمنوا إليه واحداً بعد واحد، وتقدَّم شُجعانُهم، وصار معظمُهم عنده، وانحلَّ أمرُ ابنِ سهلان وضَعُفَ، وكان بواسط، واشتدَّ الغلاء، فأكل أصحابُه الجِيَف، فكتب إلى سلطان الدولة يستنجد به، فلم يُنْجِدْه، وشرعَ أعداؤه في الوقيعة عنده فيه وتسفيه رأيِهِ، بتعزيزه بالعساكر والأموال، وإخراجِه شرف الدولة والأتراك عن الطاعة، وعلمَ ابنُ سهلان أنَّ الهربَ غيرُ مُنْجٍ له، وأنَّ باقي الدَّيلم لا يُمكِّنونه منه، ويُسلِمون نفوسَهم بعده، عدلَ إلى استصلاح شرف الدولة وراسلَه، واستمالَ أصحابه، فأجابوه، وتحالفوا، وخرج ابنُ سهلان إلى خيمةٍ ضُرِبَتْ له، وخرجَ شرفُ الدولة، ودخل عليه ابنُ سهلان، وقبَّل الأرضَ بين يديه، وذكر كلاماً معناه الاعتذارُ عمَّا جرى، وأنه يخدُم شرفُ الدولة والأتراك الخدمةَ المستأنَفة، ثم نصب لابنِ سهلان خيمةً صغيرةً، فخلا به شرفُ الدولة فيها، فقال له ابنُ سهلان: إنْ شِئْتَ كاتبتُ الدَّيلم الذين بالأهواز أن يأخذوا سلطانَ الدولة ويحملوه إليك فعلتُ.

---

(١) في (ف): أمري.

(٢) في (ف): لخمسٍ.

وأقام ابنُ سهلان في مضاربَ ضُربِتْ له عند شرف الدولة، وحلف له جميعُ العسكر إلا قسيمُ الدولة، فإنه قال: ما حاجة إلى يميني مع يمين الجماعة. ونهض ابنُ سهلان ليركب، فقيل له: للملك إليك شُغْلٌ، فاقعُدْ. فقعد، والأتراكُ غير راضين بما جرى، فلمَّا كان في الليل قُبِضَ على ابنِ سهلان وقُيِّد، وثُقِّل في الحديد، وأُخِذَ جميعُ ما كان له من مالٍ وخيلٍ وجِمالٍ وغِلمان، ونحو ذلك، وكُتِبَ بالفتح إلى سائر الآفاق، وخوطب شرفُ الدولة شاهِنْشاه، وضُرِبَتْ له الطُّبولُ على بابه في الصلوات الخمس.

ولم يحجَّ أحدٌ من العراق في هذه السنة.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن موسى بن عبد الله[1]

أبو بكر، الرُّوشنائي من أهل مَصْراثا قرية تحت كلواذى، كان نِعْمَ العبد، فيه فضلٌ وديانةٌ، وزهدٌ وعبادةٌ، وكان له بيتٌ إلى جانب مسجده يُغلِقُه على نفسه يشتغل بالعبادة، ولا يخرج منه إلَّا لصلاة الجماعة، كان ابن بِشران يزوره، ويقيمُ عنده أياماً متبرِّكاً برؤيته، ومستريحاً إلى مشاهدتِه، وتوفِّي بمَصْراثا في رجب، فخرج الناسُ من بغداد حتى حضروا للصلاة عليه، وكان الجمعُ كثيراً جدًّا.

[وفيها تُوفِّي]

محمد بن عبد الله بن أحمد[2]

أبو الفرج، الدمشقي، ويُعرف باب المُعَلِّم، وهو الذي بنى الكهف بقاسيون، ويقال له: كهف جبريل، وفيه المغارة التي يُقال: إنَّ الملائكة عزَّتْ آدمَ عليه السلام فيها لمَّا قتلَ قابيلُ هابيلَ، وكان محمدٌ هذا شيخاً صالحاً زاهداً متعبِّداً، [ذكره الحافظ ابن عساكر، وكان نسيبَ الحافظ] وتُوفِّي في رجب، ودُفِنَ بمقبرة الكهف بقاسيون.

(١) تاريخ بغداد ٥/ ١٤٩، والمنتظم ١٥/ ١٤٣-١٤٤.

(٢) تاريخ دمشق ٥٣/ ٣٢١-٣٢٣.

[وفيها تُوفِّي]

منصور بن العزيز[١]

أبو علي، الحاكم، صاحب مصر، كان يكتب في مكاتبته: المنصور، وكذا في خطبته.

[ذِكرُ طرف من أخباره:

قال هلال بن الصابئ]: تُوفِّي يوم الثلاثاء لليلتين بَقِيتا من شوال، وكان فيه كسوف الشمس [فُقد الحاكم على ما أخبرني به أبو الفرج ابن زكري القرموني، وكان يومئذٍ هناك. قال]: ومولده يوم الخميس لأربع ليال بَقِينَ من ربيع الأول سنة خمس وسبعين وثلاث مئة بالقاهرة. وقيل: ثالث عشرون منه، وولَّاه أبوه العهدَ في شعبان سنة ثلاث وثمانين وثلاث مئة، وتقلَّد الخلافة يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من شهر رمضان سنة ستٍّ[٢] وثمانين وثلاث مئة، وكانت مدةُ عمره سبعاً وثلاثين سنة، ومدة ولايته خمساً وعشرين سنة، ووليَ الخلافة وله إحدى عشرة سنة ونصف. وقيل: عشر سنين ونصف وستةُ أيام.

وكانت أخلاقُه متضادَّةً؛ بين شجاعةٍ وإقدام، وجُبنٍ وإحجام، ومحبةٍ للعلم وانتقامٍ من العلماء، وميلٍ إلى الصلاح وقَتْلِ الصُّلحاء، وكان الغالبُ عليه السخاء، ورُبما بخِلَ بما لم يبخَلْ به أحدٌ قَطُّ، وأقام يلبَسُ الصوفَ سبع سنين، وامتنع من دخول الحمَّام، وأقام سنين يجلس في الشمع ليلاً ونهاراً، ثم عنَّ له أن يجلس في الظُّلمة، فجلس فيها مدَّةً، وقتَلَ من العلماء والكُتَّاب والأماثلِ ما لا يُحصى، وكتب على المساجد والجوامع سبَّ أبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعائشةَ وطلحةَ والزبيرِ ومعاويةَ وعمروَ ابنَ العاص - (رضي الله عنهم) - في سنة خمس وتسعين وثلاث مئة، ثم محاه في سنة سبع وتسعين، وأمر بقتل الكلاب، وبيع الفُقَّاع[٣]، ثم نهى عنه، ورفعَ المكوسَ عن البلاد وعن ما يُباع فيها، ونهى عن النجوم وكان ينظر فيها، ونفى المنَجِّمين وكان يرصدُها، ويخدُم زُحَل وطالِعَه المريخ؛ ولهذا كان يسفك الدماء، وبنى جامع القاهرة، وبنى

(١) المنتظم ١٥/ ١٣٩-١٤٣ . وينظر السير ١٥/ ١٧٣ .

(٢) في (م١) وحدها: سنة ثلاثٍ. وهو تحريف.

(٣) الفُقَّاع: شراب يُتَّخذ من الشعير يُخمَّر حتى تعلوه فقاعتُه. المعجم الوسيط (فقع).

جامع راشدة على[١] النيل في مصر، ومساجدَ كثيرةً، ونقل إليها المصاحفَ المُفضَّضةَ، والسُّتورَ الحريرَ، وقناديلَ الذهبِ والفضة، ومنع من صلاة التراويح عشر سنين، ثم أباحها، وقطع الكروم، ومنَعَ من بيعِ العِنَب، ولم يُبْقِ في ولايته كرماً، وأراق خمسةَ آلاف جرَّةٍ من عسل في البحر؛ خوفاً من أن يُعمَلَ نبيذاً، ومنعَ النساءَ من الخروج من بيوتهنَّ ليلاً ونهاراً، وجعل لأهل الذِّمَّة علاماتٍ يُعرفون [بها][٢]، وألبسَ اليهودَ العمائم السُّودَ، وأمرَ أن لا يركبوا مع المسلمين في سفينة، وأن لا يستخدموا غلاماً مسلماً، ولا يركبوا حمارَ مسلم، ولا يدخلوا مع المسلمين حمَّاماً ، وجعل لهم حمَّاماتٍ على حِدة، ولم يُبْقِ في ولايته ديراً ولا كنيسةً إلا وهدمها، وهدم القمامة، وبنى مكانها مسجداً، ونهى عن تقبيل الأرض بين يديه، والصلاةِ عليه في الخُطب والمكاتبات [ثم رجع عن ذلك]، وجعل مكان الصلاة عليه: السلام على أمير المؤمنين، ثم رجع عن ذلك، وأسلم خلقٌ من أهل الذِّمَّة؛ خوفاً منه، ثم ارتدُّوا، وأعاد الكنائس إلى حالها.

وقال ابن الصابئ: [حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن الخضر، قال]: كان الحاكم يواصل الركوبَ ليلاً ونهاراً، ويتصدَّى له الناسُ على طبقاتهم، فيقف عليهم[٣]، ويسمع منهم، فمن أراد قضاء حاجته قضاها في وقته، ومن منعه سقطَتِ[٤] المراجعة في أمره، وكان المصريُّون موتورين منه، فكانوا يدسُّون إليه الرِّقاع المختومة بالدعاءِ عليه، والسبِّ له ولأسلافه، والوقوع فيه وفي حُرَمِه، حتى انتهى فِعْلُهم إلى أن عملوا تمثالَ امرأةٍ من قراطيسَ بِخُفٍّ وإزار، ونصبوها في بعض الطُّرق، وتركوا في يدها رُقعةً كأنَّها ظُلامةٌ، فتقدَّم وأخذَها من يدِها [ولم يشُكَّ في أنها امرأة]، فلمَّا فتحها رأى في أوَّلها ما استعظمَه، فقال: انظروا هذه المرأة مَنْ هي؟ فقيل له: إنَّها معمولةٌ من قراطيسَ، فعلم أنهم قد سخروا منه، وكان في الرُّقعة كلُّ قبيح، فعاد من وقته إلى

(١) في (خ): في، والمثبت من باقي النسخ.

(٢) ما بين حاصرتين ليس في (خ)، وأثبت من باقي النسخ.

(٣) في (خ) و (ف): منه، والمثبت من (م) و (م١).

(٤) في (م١): يتعطف!

القاهرة، ونزل في قصره، واستدعى القُوَّادَ والعُرفاءَ، وأمرَهم بالمسير إلى مصر، وضربها بالنار ونهبها، وقتل مَنْ ظفروا به من أهلها، فتوجَّه إليها العبيدُ والرومُ والمغاربةُ وجميعُ العساكر، وعلِمَ أهلُ مصر، فاجتمعوا وقاتلوا عن نفوسِهم، وأوقعوا النارَ في أطراف البلد، واستمرَّت الحربُ بين العبيد والعامَّة والرعية ثلاثةَ أيام، والحاكمُ يركبُ في كلِّ يومٍ إلى القَرافة، و[يطلعُ إلى] [(١)] الجبل، ويشاهدُ النار، يسمعُ الصياحَ ويسألُ عن ذلك، فيُقال له: العبيد يحرقون مصر وينهبونها، فيُظهِرُ التوجُّعَ ويقول: لعنَهم اللهُ، مَنْ أمرهم بهذا؟! فلمَّا كان اليومُ الرابع اجتمع الأشراف [والعلماء] والشيوخ إلى الجوامع، ورفعوا المصاحف، وضجُّوا[(٢)] بالبكاء، وابتهلوا إلى الله بالدعاء، فرحِمهم العامَّة والأتراك والمشارقة، ورَقُّوا لهم، فانحازوا إليهم، وقاتلوا معهم، وكان أكثرُهم مخالطاً لهم، ومُداخِلاً ومصاهِراً، وانفرد العبيد، وصار القتالُ معهم، وعظُمتِ القِصَّةُ، وزادتِ الفتنةُ، واستظهرت كُتامةُ والأتراكُ والمشارقةُ عليهم، وراسلوا الحاكم، وقالوا: نحن عبيدٌ ومماليكٌ، وهذا البلد بلدُكَ، وفيه حُرَمُنا وأموالُنا وأولادُنا وعقارُنا، وما علِمْنا أنَّ أهله جنَوا جنايةً تقتضي سوء المقابلة، وتدعو إلى مثل هذه المعاملة، فإن كان هناك باطنٌ لا نعرفه فأخبِرْنا به، وأنظِرْنا حتى نُخرِجَ عيالَنا وأموالَنا منه، وإن كان ما عليه هؤلاء العبيد مخالفاً لرأيِكَ فأطلِقْنا في معاملتهم بما يُعامَلُ به المفسدون والمخالفون، فأجابهم بأنه ما أراد ذلك، ولعنَ الفاعلَ له، والآمِرَ به، وأنتم على الصواب في الذبِّ عن المِصريين، وقد أذنتُ لكم في نصرتهم والإيقاع بمن تعرَّض لهم. وأرسلَ إلى العبيد سرًّا يقول: كونوا على أمركم. وحمل إليهم سلاحاً قوَّاهم به، وكان غرضُه في هذا أن يطرح بعضاً على بعض، وينتقم من فريقٍ بفريق، وعَلِمَ القومُ بما فعَلَ، فراسلَتْه كُتامَةُ والأتراكُ: قد عرفنا غرضَكَ، وهذا هلاكُ هذا البلد وأهلِه وهلاكُنا معهم، وما يجوز أن تُسلِّم بنفوسنا والمسلمين لفتك الحريم وذهاب المُهج، ولئن لم تكُفَّهم لنُحرِّقَنَّ القاهرة، واستنفرتِ العربُ وغيرُهم، فلمَّا سمع الرسالة ـ وكانوا قد استظهروا على العبيد ـ ركب حمارَه، ووقف بين الصفَّين، وأومأ إلى العبيد بالانصراف،

(١) ما بين حاصرتين من النجوم الزاهرة ٤/ ١٨١.

(٢) في (خ) و (ف): وعجُّوا، والمثبت من (م) و (م١)، وهو الموافق لما في النجوم الزاهرة.

فانصرفوا، واستدعى كُتامَةَ والأتراكَ ووجوه المِصريِّين، واعتذرَ إليهم، وحلف أنه بريءٌ ممَّا فعل العبيد، وكذَبَ، فقبَّلوا الأرضَ بين يديه، ودعَوا له وشكروه وسألوه الأمان لأهل مصر، فكتب لهم، وقُرئ [الأمان] [١] على المنابر، وسكنتِ الفتنةُ، وفتح الناسُ أسواقَهم، وراجعوا معايشَهم، واحترق من مصر مقدارُ ثُلثِها، ونُهِبَ نصفُها، وتتبَّع المصريُّون مَنْ أُخذَ مِنْ أزواجهم وبناتهم وأخواتهم، وابتاعوهنَّ من العبيد بعد أن فضحوهُنَّ، وقتَلَ بعضُهنَّ نفوسَهُنَّ؛ خوفاً من عار الفاحشة المرتكبة منهنَّ، واستغاث قومٌ من العلويين إلى الحاكم، وذكروا أن بعض بناتهنَّ في أيدي العبيد على أسوأ حال، وسألوه أن يستخلصهنَّ، فقال: انظُروا ما يُطالبونكم به عنهن لِأُطْلِقه لكم. فقال له بعضهم: أراكَ اللهُ في أهلِكَ وولدِكَ مثلَ ما رأينا في أهلِنا وأولادِنا، فقَدِ اطَّرحْتَ الدِّيانةَ والمروءةَ بأن رضيتَ لبناتِ عمِّك بمثلِ هذه الفضيحة، ولم يلحَقْكَ منهنَّ امتعاضٌ ولا غَيرة. فحَلُم عنه الحاكم، وقال: أنتَ أيُّها الشريفُ مُحْرَجٌ، ونحن حقيقون باحتمالِكَ، والإغضاء عنك[٢]، وزاد الأمر على الناس فيما يفَجؤُهم به حالاً بعد حال، من كلِّ ما تنخرق به العادات، وتَفسد الطاعات.

قال ابن الصابئ: ثم عنَّ له [الأمر] أن يَدَّعي الربوبية، وقرَّب رجلاً - يُعرف بالأخرم - ساعَدَه على ذلك، وضمَّ إليه طائفةً بسطهم للأفعال الخارجة عن الدِّيانة، فلمَّا كان في بعض الأيام خرج الأخرم من القاهرة راكباً في خمسين رجلاً من أصحابه، وقصد مصر، ودخل الجامع راكباً دابَّته، ومعه أصحابُه على دوابِّهم، وقاضي القُضاة ابنُ [أبي] [٣] العوَّام جالسٌ فيه ينظر في الحكم، فنهبوا الناسَ، وسلبوهم ثيابَهم، وسلَّموا إلى القاضي رُقعةً فيها فتوى، وقد صُدِّرت: باسم الحاكم الرحمن الرحيم، فلمَّا قرأها القاضي رفع صوتَه مُنكِراً، واسترجع، وثارَ الناسُ بالأخرم، فقتلوا أصحابَه، وهرب [هو][٤].

---

(١) ما بين حاصرتين من النجوم الزاهرة ٤/ ١٨٢.

(٢) جاءت العبارة في النجوم الزاهرة: وإلا غضبنا عليك.

(٣) ما بين حاصرتين من النجوم الزاهرة، واسمه أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي العوام.

(٤) ما بين حاصرتين من النجوم الزاهرة.

وشاع الحديث في دعواه [الربوبية] [١]، فتقرَّب إليه جماعةٌ من الجُهَّال، فإذا لقوه قالوا: السلام عليك[٢] يا واحد يا أحد، يا مُحيي يا مُميت، وصارَتْ له دُعاةٌ يدعون أوْباشَ الناس ومَنْ سَخُفَ[٣] عقلُه إلى اعتقاد ذلك، ومال إليه خلقٌ كثيرٌ طمعاً في الدنيا والتقرُّب إليه، وكان اليهوديُّ والنصرانيُّ يلتقيه وقد أسلم، فيقول له: [إلهي] [٤] قد رغبتُ في شريعتي الأولى، فيقول [الحاكم]: افعَلْ [ما بدا لك] فيرتدُّ بعد إسلامه وزاد الأمر [بالناس].

قال المصنف رحمه الله: ورأيتُ في بعض التواريخ بمصر أنَّ رجلاً يُعرف بالدُّرْزي قَدِمَ مصر، وكان من الباطنية القائلين بالتناسخ، فاجتمع بالحاكم وساعده على ادِّعاء الربوبية، وصنَّف له كتاباً ذكر فيه أنَّ روح آدم عليه السلام انتقلت إلى عليٍّ بن أبي طالب رضوان الله عليه، وأنَّ روح عليٍّ انتقلت إلى أبي الحاكم، ثم انتقلت إلى الحاكم. فنفَقَ على الحاكم، وفوَّضَ الأمورَ إليه، وبلغ منه أعلى المراتب، بحيث إنَّ الوزراء والقُوَّاد والعُلماءَ كانوا يقِفون على بابه ولا ينقضي لهم شُغْلٌ إلَّا على يده، وكان قصدُ الحاكم الانقيادَ إلى الدُّرْزيِّ فيطيعونه، فأظهر الدُّرزيُّ الكتابَ وقرأه بجامع القاهرة، فثار الناسُ عليه، وقصدوا قَتْله، فهرب منهم، وأنكر الحاكم أمره خوفاً من الرعية، وبعثَ إليه في السرِّ مالاً، وقال: اخرج إلى الشام وانشُرِ الدَّعوةَ في الجبال، فإنَّ أهلَها سريعو الانقياد. فخرج إلى الشام، ونزل بوادي تيم الله بن ثعلبة غربيَّ دمشق من أعمال بانياس، فقرأ الكتاب على أهله، واستمالهم إلى الحاكم، وأعطاهم المال، وقرَّر في نفوسهم التناسخ، وأباحَ لهم شُربَ الخمر والزِّنا وأخذ مال مَنْ خالفهم في عقائدهم وإباحةَ دمه، وأقام عندهم يُبيح لهم المحظورات، إلى أن مات بينهم، فيُقال: إنهم على اعتقاده وإلى هلُمَّ جرّا.

ذكر هلاك الحاكم:

---

(١) ما بين حاصرتين - أيضاً - من النجوم الزاهرة، وجاء بدلاً منه في (م) و(م١): ما يدَّعيه بإرادته من الناس ما يريده فيه، فنفرت.

(٢) بعدها في (م) وحدها زيادة: يا حاكم.

(٣) في (م١): ومن خفَّ.

(٤) ما بين حاصرتين هنا وفي المواضع الآتية في الخبر من النجوم الزاهرة.

ذكر هلال بن الصابئ [في تاريخه، والتِّنِّيسي في تاريخ مصر، والقضاعيُّ] وغيرُهم أنَّ الحاكم لمَّا بدَتْ منه هذه الأمور الشنيعة استوحش الناس منه، وكان له أختٌ يُقال لها: سِتُّ الملك، و[كانت] من أعقل النساء وأحزمهنَّ، فكانت تنهاه [عن مثل هذه الأشياء] وتقول: يا أخي، احذَرْ أن يكون خرابُ هذا البيت على يدك. فكان يُسمِعُها غليظَ الكلام، ويُهدِّدها بالقتل، وبعث إليها يقول: قد رفع إليَّ أصحابُ الأخبار أنكِ تُدخِلين الرجالَ إليكِ وتمكِّنيهم من نفسك. وعَمِلَ على إنفاذ القوابل لاستبرائها، فعلِمتْ أنها هالكةٌ معه. وكان بمصر سيفُ الدولة بنُ دَوَّاس من شيوخ كُتامَة، وكان شديد الحذر من الحاكم، وممتنعاً من دخول قصره ولقائه إلا في الموكب على ظهر الفرس، واستدعاه الحاكمُ إلى قصره فامتنع، فلمَّا كان يومُ الموكب عاتبه على تأخُّره، فقال له: قد خدمتُ أباك، ولي عليكم حقوقٌ كثيرةٌ يجب لمثلها المراعاةُ، وقد قام في نفسي أنَّكَ قاتلي، فأنا مجتهدٌ في دفعك بغاية جهدي، وليس لكَ حاجةٌ إلى حضوري في قصرك، فإن كان باطنُ رأيِكَ في مثل ظاهره فدَعْني [على] حالي، فإنه لا ضرر عليك في تأخُّري، وإن كنتَ تريدُ بي سوءاً فلأَنْ تقتلني في داري وأنا بين أهلي وولدي يُكفِّنوني ويتولَّوني أحبُّ إليَّ من أن تقتلني في قصرك وتطرحني [حتى] تأكلَ لحمي الكلاب. فضحِكَ الحاكمُ وأمسكَ عنه.

وراسلَتْ ستُّ الملك ابنَ دَوَّاس مع بعض خواصِّها: لي إليكَ أمرٌ لا بُدَّ فيه من الاجتماع، فإمَّا تنكَّرتَ وجئتني ليلاً، أو فعلتُ أنا ذلك. فقال: أنا عبدُكِ والأمرُ لَكِ. فصارت إليه ليلاً في داره متنكِّرةً، ولم تصحَبْ معها أحداً، فلمَّا دخلت عليه قام وقبَّل الأرض بين يديها دفعاتٍ، ووقف في الخدمة، فأمرَتْه بالقعود، وأخلى المكان، فقالت: يا سيفَ الدولة، قد جئتُكَ في أمرٍ أحرس به نفسي ونفسَكَ والمسلمين، ولك فيه الحظُّ الأوفر، وأُريد مساعدتَكَ فيه. فقال: أنا عبدُكِ. فاستحلفَتْه واستوثَقَتْ منه، [فلمَّا حلف] قالت له: أنتَ تعلَمُ ما يقصِدُه[1] أخي فيك، وأنه متى تمكَّن منكَ لم يُبْقِ عليك، وكذا أنا، ونحنُ على خطرٍ عظيم.

(١) في (م) و (م١): يعتقده.

وقد انضاف إلى ذلك تظاهُرُه بادِّعاء الإلهية، وهَتْكُه ناموسَ الشريعةِ وناموسَ آبائه، وقد زاد جنونُه، وأنا خائفةٌ أن يثورَ المسلمون عليه فيقتلوه ويقتلونا معه، وتنقضي هذه الدولة أقبحَ انقضاء. فقال: صدقتِ يا مولاتَنا، فما الرأيُ؟ قالت: نَقتلُه ونستريحُ منه، فإذا تمَّ لنا ما نُريده أقمنا ولدَه موضِعَه، وبذلنا المال، وكنتَ أنتَ صاحبَ جيشه ومُدَبِّرَه، وشيخَ الدولة، والقائمَ بأمره، وأنا امرأةٌ من وراء الحجاب، وليس غرضي إلا سلامة المهمة، وأن أعيش بينكم آمنةً من الفضيحة.

ثم أقطعَتْه إقطاعاتٍ كثيرةً، ووعدَتْه الأموالَ والخِلَعَ والمراكبَ السنيَّة، فقال: مُري بأمركِ. فقالت: أُريد عبدينِ من عبيدكَ تثقُ بهما في سرِّكَ وتعتمدُ عليهما في مُهمَّاتِكَ. فأحضر عبدَينِ، ووصفهما بالشهامة، فاستحلفَتْهما ووهبت لهما ألفَ دينار، ووقَّعت لهما بثياب وإقطاع وخيل وغيرها، وقالت لهما: أُريد منكما أن تصعدا غداً إلى الجبل، إنها نوبة الحاكم في الركوب، وهو ينفرد ولا يبقى معه غيرُ الرِّكابي وفَيد القَرافي وصبيٍّ[1]، وربما ردَّ القَرافيَّ [وبقي معه الصبيُّ] ويدخل الشِّعب وينفرد بنفسه، فاخْرُجا عليه واقتُلاه، واقتُلا القَرافيَّ والصبيَّ إن كانا معه. وأعطَتْهما سِكِّينين من عمل المغاربة تُسمَّى يافورت، ولها رأسٌ كرأس المِبضع الذي يُفْصَدُ به، ورجعَتْ إلى القصر، وقد أحكمتِ الأمرَ وأتقنَتْه.

وكان للحاكم مولدٌ وقد حُكِمَ عليه بالقَطْع في هذا الوقت، فإن تجاوزه عاش نيِّفاً وثمانين سنة، وكان لا يترك الركوبَ بالليل وطَوْف القاهرة، فلمَّا كانت تلك الليلة [التي قُتل في آخرها] قال لوالدته: عليَّ في هذه الليلة وفي غدٍ قَطْعٌ عظيم، والدليلُ عليه علامةٌ تظهرُ في السماء وطلوع نجمٍ سمَّاه، وكأنِّي بِكِ وقد انتُهكتِ وهلكْتِ مع أختي، فإني ما أخاف عليكِ أضرَّ منها، فتسلَّمي هذا المفتاح، فهو لهذه الخزانة، وفيها صناديقُ تشتمل على ثلاث مئة ألف دينار، خُذيها وحوِّليها إلى قصركِ تكونُ ذخيرةً لكِ. فقبَّلتِ الأرضَ وقالت: إذا كنتَ تتصوَّرُ هذا فارحَمْني، واقْضِ حقِّي، ودَعْ ركوبَكَ

(١) في (خ) و (ف): ولا يبقى معه غير القرافي والركابي وصبيّ، والمثبت من (م) و (م١)، وعليه يدلُّ سياق الكلام الآتي.

الليلة. وكان يُحِبُّها، فقال: أفعَلُ. ولم يزل يتشاغل حتى مضى صدرٌ من الليل، وكان له قومٌ [من أصحابه] ينتظرونه كلَّ ليلةٍ على باب القصر، فإذا ركب ركبوا معه، وتبعه أبو عروس صاحب العسس، ومن رَسْمِه أن يطوف كلَّ ليلة حول القصر في ألف رجل بالطُّبول الخِفاف، والبوقاتِ البحرية، فإذا خرج الحاكم من باب القاهرة قال له: ارجِعْ وأغلقِ الأبوابَ، فلا يفتَحُها حتى يعود. وضجِرَ الحاكمُ من تأخُّره عن الركوب، ونازعَتْه نفسُه إليه، فسألَتْه أمُّه وقالت: نَمْ ساعةً. فنام، ثم انتبه وقد بقي من الليل ثلثُه وهو ينفخ ويقول: إن لم أركبِ الليلةَ وأتفرَّجْ، وإلَّا خرجَتْ روحي. ثم قام فركب حماره وأختُه تراعي ما يكونُ منه. وكان قصْرُها مقابلَ قصْرِه، فإذا ركب عَلِمَتْ.

ولمَّا ركب سارَ في دربٍ يُقال له: درب السِّباع، وردَّ صاحبَ العَسسِ ونسيماً [الخادم] [(١)] صاحبَ السَّتْر والسيف، وخرج إلى القَرافة ومعه القَرافي والرِّكابيُّ والصبيُّ، فحكى أبو عروس أنَّه لمَّا صَعِد الجبلَ وقف على تلٍّ كبيرٍ[(٢)] ونظر إلى النجوم، وقال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، وضربَ بيدٍ على يدٍ وقال: ظهرت يا مشؤوم، ثم سار في الجبل، فعارضه عشرُ فوارس من بني قُرَّة، وقالوا: قد طال مُقامُنا على الباب وبنا من الفاقة والحاجة ما نسألُ معه حُسنَ النظرِ والإحسانَ، فأمرَ القرافيَّ أن يحمِلَهم إلى صاحب بيت المال، ويأمرَه أن يُعطيَهم عشرةَ آلاف درهم، فقالوا له: لعلَّ مولانا يُنكِرُ تعَرُّضَنا له في هذا المكان فَيُوعِزَ فينا بمكروه، ونحن نريد الأمان قبل الإحسان، فما وقَفْنا إلَّا من الحاجة. فأعطاهم الأمان، ومضى القرافيُّ معهم، وبقي هو والصبيُّ، وسار إلى الشِّعب الذي جرَتْ عادتُه بدخولِه، وقد كَمَنَ العبدانِ الأسودانِ له، وقد قرُبَ الصباحُ، فوثَبا عليه وطرحاه إلى الأرض، فصاح: ويلَكُما ما تُريدان؟ فقطعا[(٣)] يديه من رأس كتفيه، وشقَّا جَوْفَه، وأخرجا ما فيه، ولفَّاه في كساء، وقتلا الصبيَّ، وحملا الحاكم إلى ابنِ دوَّاس بعد أن عرقبا الحمار، فحمله ابنُ دَوَّاس مع العبدين إلى ستِّ الملك، فدفنَتْه في مجلسها، وكتمَتْ أمرَه، وأطلقَتْ لابنِ دوَّاس

(١) ما بين حاصرتين من النجوم الزاهرة ٤/ ١٨٨.

(٢) في(م) (م١): صغير.

(٣) في (م) و(م١): فقلعا.

والعبدين مالاً كثيراً، وثياباً [وإقطاعاً]، وأحضرت خطيرَ الملك الوزير، وعرَّفَتْه الحال، واسْتَكْتَمَتْه واستَحْلَفَتْه على الطاعة والوفاء، ورسمَتْ له مكاتبة[١] وليِّ العهد، وكان مُقيماً بدمشق نيابةً عن الحاكم بأن يحضر إلى الباب، فكتب إليه بذلك، وأنفذت عليَّ بنَ داود أحدَ القُوَّاد إلى الفَرَما مدينةٍ على ساحل البحر، وقالت له: إذا دخل[٢] وليُّ العهد فاقبِضْ عليه، واحمِلْه إلى تِنِّيس، وفيه خلافٌ نذكره إن شاء الله تعالى، وكتبت إلى عامل تِنِّيس عن الحاكم بإنفاذِ ما عنده من المال، فأنفذه، وهو ألف ألف دينار وألف ألف درهم، خراجَ ثلاثَ سنين كان بتِنِّيس.

وجاء وليُّ العهد إلى الفَرَما، فقُبِضَ عليه، وحُمِلَ إلى تِنِّيس، وفقدَ الناسُ الحاكمَ في [اليوم الثاني، ومنعَ أبو عروس من فتح أبواب القاهرة انتظاراً للحاكم على حسب ما أمره به، وخرج الناسُ في][٣] اليوم الثالث إلى الصحراء، وقصدوا الجبل، فلم يقِفوا له على أثر، وأرسل القُوَّادُ إلى أخته وسألوها عنه، فقالت: ذَكَرَ لي أنه يغيبُ سبعة أيام وما هنا إلا الخير، فانصرفوا على سكون وطمأنينة، ولم تزل أختُه في هذه الأيام ترتِّب الأمورَ، وتُفرِّقُ المال، وتستحلفُ الجندَ، وبعثت إلى ابن دَوَّاسٍ فقالت: استحلِفْ لابنِ الحاكم كُتامَةَ وغيرَها. ففعل، فلمَّا كان اليوم السابع ألبَسَتْ أبا الحسن عليَّ بن الحاكم أفخرَ الملابسِ واستدعَتِ ابنَ دوَّاس، وقالت: المُعَوَّل في قيام هذه الدولة عليكَ، وتدبيرُها موكول[٤] إليكَ، وهذا الصبيُّ ولدُكَ، فابذُلْ في خدمته وُسْعَكَ. فقبَّلَ الأرضَ، ووعدها بالطاعة، [وبلوغ ما في القدرة والاستطاعة]، ووضعتِ التاجَ على رأس الصبيِّ، وهو تاجٌ عظيمٌ، فيه من الجواهر واليواقيت ما لم يوجَدْ في خزانة خليفة، وهو تاج المُعِزِّ جدِّ أبيه، وتحتَه مركبٌ من مراكب الخليفة، وخرج بين يديه الوزيرُ وأربابُ الدولة، فلمَّا صار على باب القصر صاح خطيرٌ الوزيرُ: يا عَبيد الدولة، مولاتُنا السيدة[٥] تقول لكم: هذا مولاكم، فسلِّموا عليه. فقبَّلوا الأرضَ بأجمعهم،

(١) بعدها في (م) زيادة: إلياس، وفي (م١): المياس.

(٢) في(م) و(م١): وصل.

(٣) ما بين حاصرتين سقط من(خ)، واستدرك من باقي النسخ، وهو في النجوم الزاهرة.

(٤) في(خ): مؤول، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في النجوم الزاهرة.

(٥) في(م)و(م١): السعيدة.

وارتفعتِ الأصواتُ بالتكبير والتهليل، ولقَّبَتْه الظاهرَ لإعزاز دين الله، وأقبلَ الناسُ أفواجاً فبايعوه، وأطلقَ المالَ، وفرِحَ الناسُ، وأُقيم المأتمُ على الحاكم ثلاثة أيام.

وقال القاضي القضاعي: خرج الحاكم إلى الجبل المعروف بالمُقَطَّم[1] ليلةَ الاثنين السابع والعشرين من شوَّالِ هذه السنة، فطاف ليلتَه كلَّها، وأصبح عند قبر الفُقَّاعي، ثم توجَّه شرقيَّ حُلوانَ؛ موضعٌ بالمُقطَّم، ومعه ركابيان، فردَّ أحدَهما مع تسعة نفرٍ من العرب ـ كانت لهم رسومٌ، ويُقال لهم: السُّويديُّون ـ إلى بيت المال، وأمَرَ لهم بجائزة، ثم أعاد الركابيَّ الآخر، وذكر أنه فارقه عند قبر الفُقَّاعيِّ والقصبة، وأصبح الناسُ على رسْمِهم، فخرجوا ومعهم الموكِبُ والقضاةُ والأشرافُ والقُوَّادُ، فأقاموا عند الجبل إلى آخر النهار، ثم رجعوا إلى القاهرة، وعادوا ففعلوا ذلك ثلاثة أيام، فلمَّا كان يوم الخميس سَلْخَ شوَّال خرج مُظفَّرٌ صاحبُ المِظَلَّةِ، ونسيمٌ صاحبُ السِّتْر، وابنُ مسكينٍ صاحبُ الرمح، وجماعةٌ من الأولياء الكُتامِيين والأتراكِ والقُضاةِ والعُدولِ وأربابِ الدولة، فبلغوا دَيْر القَصير، والمكانَ المعروف بِحُلْوان، وأمعنوا في الجبل، فبينما هم كذلك بصُروا بالحمار الذي كان راكبَه على قَرْن الجبل قَدْ ضُربَتْ يداه بسيف فقُطِعتا، وعليه سَرْجُه ولِجامُه، فتتبَّعوا الأثر، [فإذا أثرُ راجلٍ خلف أثرِ الحمار، وأثرُ راجلٍ قُدَّامَه، فقصوا الأثر][2]، حتى انتهوا إلى البركة التي شرقيَّ حُلْوان، فنزلها بعضُ الرجَّالة، فوجَدَ فيها ثيابَه، وهي سبع جبابٍ مُزَرَّرةٍ لم تُحَلَّ أزرارُها، وفيها أثرُ السكاكين، فتيقَّنوا قتله، وكان عمرُه ستاً وثلاثين سنة وسبعة أشهر، وولايته خمساً وعشرين سنة وشهراً واحداً.

ذكر ما جرى بعد فقده

قد ذكرنا ما فعلت أخته. وكان وليُّ عهده بدمشق، واسمه إلياس، وقيل: عبد الرحمن، وقيل: عبد الرحيم بن أحمد، وكنيته أبو القاسم، ويُلقَّب بالمهدي، ولَّاه الحاكم العهدَ سنة أربع وأربع مئة.

---

(١) في(م)و(م١): بالمقطَّب.

(٢) ما بين حاصرتين سقط من (خ)، واستدرك من باقي النسخ، وهو في النجوم الزاهرة.

قال القضاعي وغيره: إنَّ ستَّ الملك أمرت بخِلَعٍ عظيمةٍ ومالٍ كثيرٍ ومراكبَ ذهبٍ وفضةٍ، وأمرتِ ابنَ دَوَّاس أن يشاهِدَها في الخزانة وقالت: غداً يَخلع عليك. فقبَّل الأرض، وفرح، وأصبح من الغد، فجلس عند السِّتر ينتظر الإذن، ويأمر وينهى، وكان للحاكم مئةُ عبدٍ يختصُّون بركابه، ويحملون السيوف بين يديه، ويقتلون من يأمرهم بقتله، فبعثَتْ بهم ستُّ الملك إلى ابن دَوَّاس يكونوا في خدمته، فجاؤوا في هذا اليوم، ووقفوا بين يديه، فقالت ست الملك لنسيم صاحب السِّتر : اخرُجْ قِف بين يدَي ابنِ دَوَّاس، وقُلْ للعبيد: يا عَبيد، مولاتُنا تقول لكم: هذا قاتلُ مولانا الحاكم، فاقتلوه.فخرج نسيم وقال لهم ذلك، فمالوا على ابنِ دوَّاس بالسيوف، فقطعوه، وقتلوا العبدين اللَّذين قتلا الحاكم، وكلُّ من اطَّلع على سرِّها [قتلَتْه] [١]، فقامت لها الهيبة في قلوب الناس.

قال ابن الصابئ: ولمَّا قتلَتِ ابنَ دَوَّاس قتلتِ الوزيرَ الخطير[٢] ومَنْ كانت تخاف منه.

وقد حكينا عن ابن الصابئ أنه قال: إنَّ ستَّ الملك قبضت على وليِّ العهد وحبسته بتنِّيس.

وقال القضاعي: إنَّها لمَّا كتبت إلى دمشق بحمل وليِّ العهد إلى مصر لم يلتفت، واستولى على دمشق، ورخَّص للناس ما كان الحاكم حظره عليهم؛ من شُربِ الخمر، وسماعِ الملاهي، فأحبَّه أهلُ دمشق، وكان بخيلاً ظالماً، فشرع في جمع المال، ومصادرات الناس، فأبغضه الجند وأهل البلد، فكتبَتْ أختُ الحاكم إلى الجند، فقبضوه، وبعثوا به مُقيَّداً إلى مصر، فحُبِس في القصر مكرَّماً، وأقام مُدَّةً، وحُمِلَ إليه يوماً بِطِّيخٌ ومعه سِكِّين، فأخذ السِّكِّين فأدخلها في سُرَّته حتى غابت، وبلغ ابنَ عمِّه الظاهر [ابن الحاكم]، فبعث إليه القُضاةَ والشهودَ، فلمَّا دخلوا عليه اعترف أنه هو الذي فعل ذلك بنفسه، وحضر الطبيبُ، فوجد طرف السكين ظاهراً فقال: لم تُصادِفْ مَقتلاً. فوضع وليُّ العهد[٣] يدَه عليها فغيَّبها ومات[٤].

---

(١) ما بين حاصرتين من النجوم الزاهرة ٤/ ١٩٢.

(٢) في (خ): الخطيب، وهو تصحيف.

(٣) في (م) و (م١): فوضع عبد الرحيم.

(٤) جاء بعدها زيادة مكررة قد تقدمت آنفاً، وهي: وقال ابن الصابئ: ولما قتلت ابن دواس ... إلى قوله: في (خ) فعلت أخته.

قال ابن الصابئ: كانت قد نقلت [إلياس] وليَّ العهد [- كذا سمَّاه ابن الصابئ -] إلى دارٍ، وأقامت له الإقامات، ووكلت بخدمته خواصَّ خَدَمها، وواصلته بالملاطفات والافتقاد، فلمَّا يئست من نفسها أحضرت الظاهرَ ابنَ أخيها وقالت له: لقد علمتَ ما عاملتُكَ به وأقَلُّه حراسةُ نفسِكَ من أبيك، فإنه لو تمكَّنَ منكَ لقتلَكَ، وما تركتُ [لك][1] أحداً تخافه إلَّا وليَّ العهد. فبكى بين يديها هو ووالدتُه، وسلَّمت إليهما مفاتيح الخزائن، وأوصَتْهما بما أرادت، وقالت لمعضاد الخادم: امْضِ إلى وليِّ العهد وتفقَّد خدمته، فإذا دخلتَ عليه فانكبَّ كأنك تُسائله بعد أن توافق الخدَمُ على ضربه بالسكاكين، فمضى إليه معضاد وقتله ودفنه وعاد فأخبرها، فأقامت ثلاثة أيام وماتت، وتولَّى أمرَ الدولة معضاد الخادم ورجلٌ علويٌّ من أهل قزوين وآخرون.

قال ابن الصابئ: وكان على حلب ـ عند هلاك الحاكم ـ عزيزُ الدولة فاتِك الوحيدي، وقد استفحلَ أمرُه، وعظُمَ شأنه، وحدَّث نفسه بالعصيان، فلاطفَتْه ستُّ الملك [وآنسته]، وراسلته، وبعثت إليه بالخِلَع والخيل بمراكب الذهب وغيرِها، ولم تَزلْ تُعمِلُ الحيلةَ حتى أفسدت غلاماً له يُقال له: بدر، وكان مالكَ أمرِه، وغلمانُه تحت يده، وبَذَلَتْ له العطاءَ الجزيل على الفتك به، ووعدَتْه أن تولِّيه مكانَه، وكان لفاتك غلامٌ هنديٌّ يهواه [ويحبُّه حبّاً شديداً]، فاستغواه بدر، وقال[2]: قد عرفتُ من مولاكَ مللاً لكَ وتغيُّرَ نيةٍ فيكَ، وعزمَ على قتْلِكَ، ودافَعْتُه دَفَعات، وأنا أخافُ عليك. ثم تركه أياماً، ووهبَ له دنانيرَ وثياباً، ثم أظهر له المحبةَ وقال: إن عَلِمَ بنا الأميرُ قتَلَنا. فقال الهندي: فما أفعل؟ فاستحلَفَه واستوثق منه، وقال: إن قبلتَ ما أقولُ أعطيتُك مالاً وأغنيتُكَ، وعِشنا جميعاً في أطيب عيش. قال: فما تُريد؟ قال: نقتُلُه ونستريحُ منه. فأجابه فقال: الليلةَ يشربُ وأنا أسقيه وأميلُ عليه، فإذا سكر فاقتُله. وجلس فاتك على الشُّرب، فلمَّا قام إلى مرقده حمل الهنديُّ سيفَه وكان ماضياً، فلمَّا دخل في اللِّحاف وبدرٌ على باب المجلس واقفٌ، فلمَّا ثقُلَ في نومه غمزَ بدرٌ الهنديَّ فضربه بالسيف فقطع رأسَه، فصاح بدرٌ واستدعى الغِلمان، وأمرهم بقتل الهنديِّ، فقتلوه، واستولى

(١) ما بين حاصرتين ليس في (خ)، واستدركته من باقي النسخ، والنجوم الزاهرة ٤/ ١٩٤.

(٢) في (خ): قالت، والمثبت من باقي النسخ.

بدرٌ على القلعة وما فيها، وكتب إلى أخت الحاكم بما جرى، فأظهرتِ الوَجْدَ على فاتك، وشكرَتْ بدراً على ما كان منه في حفظ الخزائن، وبعثَتْ له بالخِلَع، ووهبت له جميع ما خلَّف مولاه، وقلَّدَتْه[1] موضِعَه، ونظرَتْ في الأمور بعد قتل الحاكم أربع سنين، أعادتِ المُلكَ فيها إلى غضارتِه، وغمرتِ الخزائنَ بالأموال، واصطنعَتِ الرجال، ثم اعتلَّت عِلَّةً لَحِقَها فيها ذَرَبٌ، فتوفِّيت.

قال المصنف رحمه الله: وفي أيام الحاكم كان أبو الحسن علي بن محمد التِّهامي الشاعر. [ذكره الحافظ ابن عساكر[2] وقال]: وكان عليَّ الهِمَّة، شريفَ النَّفس، قارئاً لكتاب الله تعالى، طلب الخلافة بالشام، وخرج معه جماعةٌ، فغدر به آل الجرَّاح الطَّائيين، وتقرَّبوا به إلى الحاكم، وحملوه إليه [إلى مصر]، فحبسه في خزانة البنود إلى أن مات بها. وقيل: إنَّ الحاكم عفا عنه وخلَّى سبيله، ومن شعره مرثيَّةٌ في ولده: [من الكامل]

حُكْمُ المنيَّةِ في البريَّةِ جارِ ... ما هذه الدُّنيا بدارِ قرارِ
بينا يُرى الإنسانُ فيها مُخْبِراً ... حتى يُرى خبراً من الأخبارِ
طُبِعَتْ على كدَرٍ وأنتَ تُريدُها ... صَفواً من الأقذاءِ والأكدارِ
ومكلِّفُ الأيامِ ضِدَّ طباعِها ... مُتطَلِّبٌ في الماءِ جَذوةَ نارِ
وإذا رجوْتَ المستحيلَ فإنَّما ... تبني الرجاءَ على شفيرٍ هارِ
فالعيشُ نومٌ والمنيةُ يقظةٌ ... والمرءُ بينهما خيالُ سارِ
والنفسُ إنْ رضِيَتْ بذاكَ وإنْ أبَتْ ... منقادةٌ بأزِمَّةِ المقدارِ
فاقضوا مآرِبَكُمْ عِجالاً إنَّما ... أعمالُكُمْ سَفَرٌ من الأسفارِ
وتراكضوا خيلَ الشبابِ وبادِروا ... أن تُستَرَدَّ فإنهنَّ عَوارِي
فالدَّهرُ يَخدَعُ بالمنى ويُغِصُّ إنْ ... هنَّا[3] ويهدِمُ ما بنى ببوارِ
ليس الزَّمانُ وإن حرصتَ مُسالماً ... خُلُقُ الزمانِ عداوةُ الأحرارِ

(١) في (م١): وولَّته.
(٢) تاريخ دمشق ٥١/ ٢١٥-٢١٨ (مجمع اللغة العربية بدمشق).
(٣) هنَّأ: أعطى الطعام. المعجم الوسيط (هنأ).

يا كوكباً ما كانَ أقصَرَ عُمْرَهُ وكذا تكونُ كواكبُ الأسحارِ
وهلالُ ليلاتٍ مضى لم يستَدِرْ بدراً ولم يُمْهَلْ ليومِ سِرَارِ[1]
عَجِلَ الخسوفُ عليهِ قبلَ أوانهِ فمحاهُ قبلَ مَظِنَّةِ الإبدارِ
فاستلَّ من أثوابهِ ولِدَاتِهِ كالمُقلَةِ اسْتلَّتْ من الأشفارِ
فكأنَّ قلبي قبرُهُ وكأنَّهُ في طيِّهِ سِرٌّ من الأسرارِ
إنَّ الكواكبَ مع علوِّ مَحلِّها لتُرى صغاراً وَهْيَ غيرُ صغارِ
ولَدُ المُعَزَّى بعضُهُ فإذا مضى بعضُ الفتى فالكلُّ في الآثارِ
جاورتُ أعدائي وجاورَ ربَّهُ شتَّانَ بينَ جوارِه وجواري
أشكو بِعادَكَ لي وأنتَ بموضعٍ لولا الرَّدى لسمِعْتَ فيه سِراري[2]
والشَّرقُ نحوَ الغربِ أقرَبُ شُقَّةً مِنْ بُعْدِ تلكَ الخمسةِ الأشبارِ
ولقد جَرَيْتَ كما جَرَيْتُ لغايةٍ فبلغتَها وأبوكَ في المضمارِ
فلئِنْ نطقْتُ فأنتَ أوَّلُ منطقي ولئِنْ سَكَتُّ فأنتَ في إضماري
ثوبُ الرِّياءِ يَشِفُّ عمَّا تحتَهُ فإذا التحفْتَ بهِ فإنَّكَ عارِ
والهُوْنُ في ظِلِّ الهُوَينا كامِنٌ وجلالةُ الأخطارِ في الإخطارِ
قَدْ لاحَ في ليلِ الشبابِ كواكِبٌ إنْ أَمْهَلَتْ آلَتْ إلى الإسفارِ
وَتَلهُّبُ الأحشاءِ شَيَّبَ مَفْرِقي هذا الضياءُ شُواظُ تِلْكَ النَّارِ

من أبيات. وقال يمدح الشريف أبا عبد الله محمد بن الحسين النَّصيبي نقيب النقباء بدمشق: [من الخفيف]

زارنا في دمشقَ من أرضِ نجدٍ لكَ طيفٌ سرى ففَكَّ الأسرا
وأرادَ الخيالُ لَثْمي فصيَّرْ تُ لِثامي دونَ المراشِفِ سِتْرا
فاختلينا بُدُورَ نجدٍ بأرضِ الشَّآ مِ بعدَ الرُّقادِ بدراً بدرا
ارحلي إنْ أردْتِ أوْ فأقيمي أعظَمَ اللهِ للهوى فيَّ أجرا
لا تقولي لقاؤُنا بعدَ عشرٍ لستُ ممَّنْ يعيشُ بعدكِ عشرا

(١) السِّرار: آخر ليلة من الشهر. المعجم الوسيط (سرر).
(٢) السِّرار هنا جمع سِرّ، ويُجمع - أيضاً - على أسرار.

وسِـقـامُ الـجُـفـونِ أمـرَضَ قـلـبـي ... لـيـتَ أنَّ الـجُـفـونَ تَـبـرا فـأبـرا
فـإذا قـابَـلَـتْ مـحـمـداً الـعِـيـ ... ـسُ فـقَـبِّـلْ مـنـاسِـمَ الـعـيـس شُـكـرا[1]
مـن إذا شِـمْـتُ وجـهَـهُ بـعـد عُـسْـرٍ ... قـلـبَ الـلـه ذلـك الـعُـسـرَ يُـسـرا
وإذا قَـلَّ نَـيْـلُـه كـان بـحـراً ... وإذا ضـاقَ صـدرُه كـان بـرَّا

السنة الثانية عشرة وأربع مئة

فيها في المُحرَّم سار سلطان الدولة من الأهواز طالباً لأَرَّجان، وسببُه لمَّا بلغه دخولُ ابنِ سهلان والدَّيلم في طاعة شرف الدولة وقَبْضُه على ابنِ سهلان من بَعْدُ سار من الأهواز سَيْرَ المنهزِم، وترك أثقالَه بها؛ لأنَّ الأمر أعجلَه، وتأخَّر عنه كثيرٌ من حَرَمِه، وتبِعَتْه أثقالُه، ونهب الأكرادُ المتلَصِّصةُ بعضَها، وفي يوم عاشوراء عبرَ شرفُ الدولة إلى الجانب الشرقيِّ من واسط قاصداً للأهواز، ووصل سلطانُ الدولة إلى أَرَّجان.

وفي ثاني عشر مُحرَّم كحل أبو غالب الحسن بن منصور أبا محمد بن سهلان، وسبَبُه أنَّ شرف الدولة لمَّا قبضَ على ابنِ سهلان اجتمع الأتراكُ وطالبوه باستحقاقاتهم التي تأخَّرت لهم، وطلبوا تسليمَ ابنِ سهلان إليهم، فدافعهم شرفُ الدولة، فلم يندفعوا، فسلَّمه إلى أبي غالب، فكحله؛ لِما كان بينهما، وأصعَدَ الأتراكُ بأُسَرِهم إلى بغداد، ولم يبقَ مع شرفِ الدولة منهم إلَّا القليل، فلو أراد الدَّيلم بشرف الدولة أمراً لَما كان بإزائهم من يراقبونه، وعزَّ على الدَّيلم كحلُ ابنِ سهلان.

وفي يوم الجمعة لأربع بَقِينَ من المُحرَّم خُطِبَ لشرف الدولة ببغداد، وخوطب بشاهِنشاه مولى أمير المؤمنين، وقُطعتِ الخطبةُ لسلطان الدولة.

وفي يوم الاثنين لليلةٍ بقيَتْ منه سار الدَّيلم الخُراسانية[2] وغيرُهم إلى بلادهم، وخرج أبو غالب في ثالث صفر وراءهم، وكان السببُ أنَّ شرف الدولة قصَّر في حقِّهم[3]، فطلبوا المسيرَ إلى أَرَّجان تقدِمةً لشرف الدولة، وأن يكون معهم مَنْ يقومُ

(١) المثبت في البيت من تاريخ دمشق ٥١/ ٢١٧، وقد جاء البيت في (خ) و (ف) غير مستقيم ولا منسجم هكذا:
فـإن قـابـلـت مـجـداً لـعـيـشٍ ... فـقـبِّـل مـيـاسـم الـعـيـش عـشـر
(٢) في (خ) و (ف): الجورسانية!
(٣) في (ف): حقوقهم.